الرئيس
لا يأكلها
تفاحًا

محمد سامي البوهي

TANTA
BOOK HOUSE

طنطا بوك هاوس

الرئيس لا يأكلها تفاحًا
متوالية قصصية
محمد سامي البوهي

الطبعة الأولى: مايو 2013
رقم الإيداع بدار الكتب:
3477 / 2013
الترقيم الدولي:
978 – 977 – 6751 – 56 – 3

الإشراف العام وتنسيق صفحات داخلية
وتحرير وتصحيح لغوي:
أحمد منتصر

طنـــــطا بوك هاوس
للنــــــــشر والتوزيع
الـورقي والإلكتروني
ت: 01007241813
kelmtna@hotmail.com
facebook.com/groups/TantaBookHouse

" أتمنى أن تلد امرأة فقيرة أراجوزًا شريفًا ليحكم هذا العالم ".

الكاتب

البيض لا يمتلكه أحد

-1-

الجو بارد.. بارد جدًا..

بحثت عن نظارتي اليوم صباحًا فأخبرتني ابنتي أنها في الثلاجة.. أسرعت الخطى إلى الثلاجة فلم أجدها في مكانها المعتاد على يمين طاولة المطبخ.. نسيت أمر النظارة وأخذت أبحث عن الثلاجة فأخبرتني زوجتي أن الجيران استعاروها بالأمس؛ لأنهم فقراء ولا توجد لديهم ثلاجة يضعون فيها كيلو اللحم الذي اشتروه بعد عناء.. أنهيت ارتداء ملابسي ونزلت أبحث عن السيارة.. أين صففتها بالأمس.. أين؟؟ – يوووه– لقد سئمت ذاكرتي المكانية اللعينة.. أخبرني جاري الفقير الذي استعار الثلاجة أنه رأى سيارتي في غرفة البواب يستعملها كسرير لأولاده الخمسة بعد أن أنجبت له زوجته توأمًا ليلة أمس، نسيت أمر السيارة وسألته عن الثلاجة فاحمر وجهه ولم يكترث لسؤالي ومضى يردد بغضب (حرام عليكوا.. ده كيلو لحمة.. لحمة يا نااااس) شعرت بحرج شديد وغمرني العرق..غمرني جدًا جدًا..

أتحدث إلى نفسي كما العادة، كثيرًا ما أتحدث إلى نفسي فهي الوحيدة التي يمكن أن تسمعني دون مشادات ومشاجرات ووجهات نظر وجدال ووجع قلب، إذن سألوح لتاكسي وبعد عناء يتوقف السائق وبقرف يسألني عن وجهتي، وتبدأ المناهدة للاتفاق على الأجرة وهو يذل أنفاسي بالمشوار الطويل الذي ستقطعه سيارته المدللة مرورًا بالمطبات والبالوعات والإشارات والمطالع والمنازل والملفات والكباري والزحام والاعتصام والمظاهرات التي ستجبره على تغيير مساره ليدخل بين الحواري

والأزقة والشوارع الضيقة ثم يقطع كلامه ليخشن صوته (ما تخلصنا يا أستاذ عايزين نشوف أكل عيشنا) وفي النهاية أجلس إلى جواره فيتحف رأسي طول الطريق عن زوجته التي حرقت دمه (ع الصبح) حتى أنه غادر بيته تاركًا خلفه طبق الفول المعتبر بعد ردحها المعتاد عن إيراد التاكسي الأسود الذي لم يعد يكفي لشراء كيس جوافة، واقتراحها الجهنمي بتغييره إلى تاكسي أبيض، ثم ينعطف بي يمينًا على الدوري العام والحكم الحمار الذي احتسب ركلة جزاء غير صحيحة واللاعب ابن الكلب الذي أضاع هدفًا محققًا والمدرب الغبي الذي استبدل اللاعب الفلاني باللاعب العلاني وفي النهاية يسب هذا وذاك، ثم يدعوني لسيجارة وينعطف بي يسارًا ويسألني عن رأيي في الثورة و(العيال بتوع التحرير) ولا ينتظر فيصعد بي على عجلة الإنتاج والبورصة وحال البلد الضائعة وسقوط الدولة والعسكر والشرطة والإخوان والسلفيين والأقباط والأحزاب والفلول والانتخابات والبلطجية والعصابات والمحاكمات.. مهلًا مهلًا.. إنه يقول: "ثورة؟.. محاكمات؟..
بلطجية؟.. عصابات؟" أسائل نفسي مذهولًا من وقع الكلمات الجديدة. السائق أنفه كبير. كبير جدًا.

الجو بارد.. بارد جدًا.
إذن فلن أذهب إلى العمل اليوم وسأصعد إلى شقتي في الدور السادس أو الرابع أو الحادي عشر على ما أذكر.. سأرتدي البيجامة والبرنس والطرطور وأصنع لنفسي فنجانًا من الشاي وأجلس أمام التلفاز أتفرج على الناس من بعيد بعيد جدًا، قاطعني

البواب الذي استعار السيارة بأن المالك نقل السلم والمصعد إلى عمارته الجديدة لأن سكانها يدفعون أكثر وترك لنا حبلًا نتسلقه في الصعود والنزول، لم أهتم بما قاله وسألته عن السيارة فاحمر وجهه وانتفخت عيناه ومضى يردد بغضب (دول سبعة عيال وأمهم سبعة عيال وأمهم يا عاااالم) البواب رأسه كبيرة كبيرة جدًا.

وقفت أمام الحبل ووضعت يدي على كرشي المتهدل ونظرت إلى فخذيّ الملتصقين وتحسست أردافي المنبعجة وتراجعت إلى الخلف قليلًا لإحداث قفزة توافقية أستعيد بها لياقتي المحطمة منذ سنوات طوال.. لكنني توقفت عندما تفاجأت بزوجتي تتدلى بالحبل وتضع قدمها الأخيرة على الأرض لإنهاء الهبوط، كانت ترتدي بيجامتي الحرير وبرنسي النبيتي وطرطوري الأخضر وتحمل في يدها حقيبة سفر زوجتي نحيفة نحيفة جدًا، لا أكاد أراها تحت الأغطية الشتوية الثقيلة.. لم تعبأ بوجودي وبخطوات سريعة غادرت العمارة وهي تبرطم بكلمات لم أفهمها.. دائمًا ما تبرطم بكلمات لا أفهمها.. زوجتي أقدامها كبيرة كبيرة جدًا.

تراجعت للخلف مرة أخرى وملأت رئتي بالهواء وكتمت أنفاسي وابتلعت كرشي وقررت القفز، قفزت بالفعل يحملني الهواء الآن، يدي تمتد ينتصب جسدي ترتعش أصابعي أين الحبل؟ الحبل؟ إنه مرسوم هناك على الحائط، قبضت على الهواء شيء ما يرتطم بالأرض، الدماء تسيل من رأسي.. رأسي كبيرة.. كبيرة جدًا.

لفظت أنفاسي الأخيرة لم أعبأ بالأمر كثيرًا، أخبرني مالك العمارة أنني لا يمكن أن أفارق الحياة قبل أن أسدد الإيجار، وأدفع رسوم صيانة المصعد وأجرة الزبال وإكرامية البواب وفواتير الكهرباء والماء والنظافة والغاز والضريبة العقارية،

فقاطعته وبلهجة باردة نطقت (ثورة.. ثورة.. ثو. .صو.. صو.. صو) فهاج وماج وضرب رأسه بالجدار مرتين أو خمس مرات لا أذكر وأخذ يقفز كأنثى الشمبانزي ثم شهر سبابته في وجهي (الثورة دي هناك في التحرير مش هنا في عمارتي فاهم؟) أنزل سبابته وتقدم نحوي بغيظ، جاذبًا الحبل المرسوم على الحائط، ولفه حول عنقي وتركني أتدلى أتدلى جدًا.. ثم رحل تاركًا خلفه قهقهات لزجة ورائحة غريبة.

في جنازتي العسكرية أسير خلف نعشي.. خلف نعشي تمامًا –لم أكن ضابطا في الجيش يومًا ما ولا حتى أديت الخدمة العسكرية– ربما أنا بطل الآن يعرفه الجميع وتتناقل صوره نشرات الأخبار وتعقد حوله الموائد في برامج التوك شو وتلصق صوره على الجدران وعربات الكشري والبطاطا والمدمس والذرة، وربما تجدها مع الباعة الجائلين في ميدان التحرير والمقاهي والإشارات والتكاتك والميكروباصات وأتوبيسات النقل العام، وربما يتبرع أحدهم ليرفعها على أعمدة الكهرباء في الشوارع والحواري والطرق والكباري والميادين.. أبكاني المشهد جدًا.. الكل يضحك.. الكل يسخر من نعش لفوه في ورق السوليفان ووضعوا فوقه شريطًا أحمر ثم ألقوا به على عربة مدفع..

في جنازتي العسكرية أرى زوجتي ترتدي بيجامتي الحرير وبرنسي النبيتي وطرطوري الأخضر.. وأرى جاري الذي استعار الثلاجة من أجل كيلو اللحم الذي اشتراه بعد عناء يحمل ثلاجتي فوق رأسه.. وأرى بواب العمارة الذي استعار السيارة من أجل أن يستخدمها لأولاده الخمسة بعد أن أنجبت له زوجته توأمًا ليلة أمس يجر سيارتي خلف.

المجد للثلاجة.. المجد للسيارة.. المجد للطرطور -هكذا كانوا يهتفون-.

عاش مجنونًا ومات بطلًا -هكذا كانوا يهمسون-.

الجو بارد.. بارد جدًا.

وضعت ابنتي النظارة فوق نعشي وقبلت رأسي وغابت بينهم..

-2-

الجو بارد.. بارد جدًا..

عندما عدت من جنازتي ليلًا سمعت أخبارًا تملأ العمارة عن جارتنا التي وضعت بيضة كبيرة هذا الصباح، البيضة ضخمة جدًا جدًا جدًا، كأنف سائق التاكسي ورأس البواب، وأقدام زوجتي، البيضة داخلها رئيس جديد، تأكدنا من ذلك بعد أن رأينا خاتم النسر المطبوع على جانبها الأيمن. إذن فقد صدقت النبوءة التي وردت في دستور البلاد القديم.. "يومًا ما ستضع امرأة فقيرة بيضة ضخمة جدًا داخلها رئيس جديد فأكثروا من فولكم وعدسكم وبصلكم وخبزكم لأنه سيأكل كل شيء".

في مانشيتات الصحف المسائية أو الصباحية أو صحف الأسبوع الماضي لا أذكر:

- "ثري عربي يقدم عرضًا لشراء البيضة بعشرة مليارات دولار.
- الأمم المتحدة تعلن عن إرسال فريق من الخبراء لفحص البيضة.
- أمير قطر يتقدم بطلب للمجلس العسكري باستضافة البيضة في قصره.
- إسرائيل تعرب عن قلقها على مصير معاهدة السلام.
- السلفيون يصدرون فتوى بتحريم أكل البيض.
- الإخوان يقومون بذبح الدجاج في جميع أنحاء البلاد.
- وزيرة الخارجية الأميركية تزور مصر لترقد على البيضة لعدة ساعات".

كانت زوجتي في استقبالي عندما قررت الدخول إلى شقتي من شباك المطبخ، بعد أن أغلق مالك العمارة الباب الرئيسي بالطوب الأحمر إثر موتي أخبرتها أنني جائع.. جائع جدًا، فمطاعم القبور لا تقدم وجباتي المفضلة، فتحت الثلاجة وأخرجت برطمان مربى بذر الكتان التي أعشقها -أعشقها أكثر منها بالطبع- وصنعت لي (ساندويتش) واحدًا فقط، هي تعلم جيدًا أن (ساندويتش) واحدًا لا يكفيني أبدًا، فقط هو يمر على كرشي مرور الكرام، قصصت عليها حكاية جارتنا التي وضعت بيضة ضخمة داخلها رئيس جديد لم تصغ لحديثي وصنعت (ساندويتش) كبيرًا.. كبيرًا جدًا هي تعلم جيدًا أنني في حاجة إلى (ساندويتش) آخر.. وآخر وآخر، وضعت عليه الملح والفلفل والكاتشب الحار وحشرت داخله المخلل وقبل أن أمد يدي لالتقاطه من يدها سبقتني إليه بقضمتين متتاليتين التهمته عن آخره.. وتركتني أتحسر. فكل شيء يمكن أن ينتهي بقضمتين متتاليتين بين أسنان زوجتي.

عدت لأقص عليها حكاية جارتنا التي وضعت بيضة ضخمة داخلها رئيس لعلها ترأف بحالي وتصنع لي (ساندويتش) آخر، لم تصغ لحديثي، ووضعت برطمان المربى فوق رأسي.. المربى التي أعشقها -أعشقها أكثر منها بالطبع- وأمرتني بأن أرحل قبل أن يستيقظ زوجها الجديد فيغضب عندما أراه نائمًا في سريري ويرتدي بيجامتي الحرير وبرنسي النبيتي وطرطوري الأخضر.

نظرت إلى الثلاجة وطلبت منها أن أستعيرها كما أعارتها لجارنا الفقير كي أضع فيها برطمان المربى التي أعشقها -أعشقها أكثر منها بالطبع- فألقت بي سريعًا من الشباك

عندما سمعت صوت زوجها الجديد يصرخ فيها من غرفة نومي طالبًا العشاء، لم أكن أصرخ في وجهها أبدًا لأطلب العشاء كما يصرخ هذا الأحمق اللعين.

في الشارع كانت صورًا تنتشر للبيض الرئاسي في كل مكان.. صورة لبيضة بلحية وجلباب.. صورة لبيضة بشورت وفانلة وكاب.. صورة لبيضة بملابس راقصة.. وصورة لبيضة ببذلة عسكرية.. وصورة أخرى لبيضة تبتسم.. فقط تبتسم ولا ترتدي أي شيء.. إذن فمن أي بيضة سيخرج هذا الرئيس الجديد؟..

لم أعبأ بالأمر كثيرًا ورحت أبحث عن برطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر من كل هذا البيض بالطبع.

الجو بارد.. بارد جدًا.

الناس في الشارع يسيرون على رؤوسهم.. يسيرون على رؤوسهم الناس في الشارع.. أنا فقط من يسير على قدمين.. كل الأشياء أراها مقلوبة.. أو معدولة.. ولا أذكر كيف كانت عليه من قبل.. يصرخ أحدهم من بعيد بأن الناس في ميدان التحرير يسيرون على أقدامهم.. الناس في التحرير يسيرون على أقدامهم.. ربما تكون كارثة كبيرة جدًا إذن..

في تلك اللحظة أخبرني البقال الذي اشترت منه زوجتي برطمان المربى التي أعشقها -أعشقها أكثر منها بالطبع- بأن العسكر يقبضون على كل من يسير على قدمين.. أنا مجرم كبير إذن وليس أمامي إلا أن أسير على رأسي مثلهم.. أو أن أرحل من هنا

تاركًا خلفي كل شيء.. زوجتي وابنتي وسيارتي وثلاجتي وبرطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر من هؤلاء العسكر بالطبع.

نصحني واحد من العباقرة الكبار بأن أستأصل كرشي، وأخلع رأسي وأضع مكانهما بيضة ضخمة أو بطيخة أو حتى كرة قدم، وأسير في الشارع كما شئت؛ فالعسكر لا يقبضون على أمثال هؤلاء لأنهم عسكر طيبون وأولاد حلال، ويراعون الأصول، فهم يعلمون جيدًا بأن الرئيس القادم سيخرج قريبًا من بيضة ضخمة.. ضخمة جدًا.. لذلك باتوا يقدسون البيض كله والأشياء المستديرة..

مجلس الشعب أصبح مستديرًا.. مجلس الشورى مستديرًا.. الأعضاء مستديرين.. اللجنة التأسيسية للدستور مستديرة.. الدستور مستديرًا.. مرشحو الرئاسة مستديرين.. الشرطة مستديرة.. الحكومة مستديرة.. رئيس الوزراء مستديرًا.. الوزراء مستديرين.. المجلس الاستشاري مستديرًا.. القضاة والمحامون مستديرين.. الرئيس المخلوع وولداه وزوجته وحكومته مستديرين.. الصحفيون والإعلاميون مستديرين.. الساسة الكبار والكتاب والمبدعون مستديرين.. أئمة المساجد وشيوخ الأزهر والقساوسة مستديرين.. الإخوان والسلفيون والأقباط مستديرين.. الليبراليون والعلمانيون والملحدون مستديرين.. الأحزاب والائتلافات والجمعيات والاتحادات والنقابات مستديرين.. البلطجية والعواطلية واللصوص والمخبرون مستديرين.. زوجتي مستديرة.. زوجها الجديد مستديرًا.. ابنتي مستديرة.. جاري الفقير وبواب العمارة ومالكها وسائق التاكسي مستديرين.. الأغبياء فقط هم من يشبهون الخط المستقيم.. إذن فالرئيس القادم لن يكون غبيًا أبدًا

لأنه سيكون مستديرًا أيضًا.. لم أعبأ بالأمر كثيرًا.. وأخذت أبحث عن برطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر من الرئيس القادم بالطبع..

–3–

الجو بارد.. بارد جدًا.

أخبرني رجل طويل.. طويل جدًا يسير في الشارع أن جارتنا الفقيرة التي وضعت بيضة ضخمة.. ضخمة جدًا داخلها رئيس قامت بترشيح نفسها للرئاسة، وأن الصور والبوسترات التي تظهر فيها كبقعة مقعرة سوداء تنتشر في جميع أنحاء البلاد.. وأن منها أحجامًا صغيرة تتدلى من مرايا سيارات الأجرة والميكروباصات والتاكسيات والتكاتك وربما تراها أيضًا تتدلى من أعناق الحمير والبغال والكلاب في الشوارع، وستجد من يصنع منها أحجبة للمحال والأطفال والمنازل، لذلك سأسمع أنباء مؤكدة اليوم بأن إسرائيل تحشد قواتها وتلملم عزالها استعدادًا للرحيل من فلسطين إلى أي مكان آخر بعد إعلان هذا الخبر الخطير، فجارتنا الفقيرة التي وضعت بيضة ضخمة.. ضخمة جدًا داخلها رئيس تتعدى على كل الأعراف والقوانين والمعاهدات وحقوق الإنسان وتضرب البيضة الرئاسية بعرض الحائط.. الكل يؤيدها.. الكل يقف خلفها.. الكل يهتف لها إلا العسكر وحدهم من يرفعون نبالهم في وجهها وينتظرون اللحظة الحاسمة لإسقاطها بحصوة نافذة في الرأس.. فالعسكر لا يطلقون الرصاص ولا يقذفون الخرطوش ولا يستعملون كل تلك الأسلحة التقليدية الفتاكة.. فقط هم يلقون على الناس البون بوني وكور الثلج وفقاقيع الصابون الملونة..

العسكر يكرهون الدماء..

العسكر يبتسمون دائمًا في وجوه الناس..
العسكر يوزعون الهدايا على الفقراء والمساكين..
لذلك تراهم يمرون بشوارعنا ليلًا ويرحلون مع طلوع الشمس مخلفين وراءهم الهدوء.. الهدووووء.. ششششش.. لا تسمع نفسًا.. لا تتكلم لغة.. لا تلمح حتى قطة عابرة.. شششششش. تمت العملية بنجاح.

الجو بارد.. بارد جدًا.
لم أعد أبحث عن أي شيء.. عن أي شيء لم أعد أبحث بعد أن ضاعت نظارتي.. ثلاجتي.. سيارتي.. وبورنسي وبيجامتي وطرطوري الأخضر وبرطمان المربى التي أعشقها أكثر منكم جميعًا.. يقولون بأن من يفقد شيئا فليذهب إلى ميدان التحرير وسيجده هناك في انتظاره.. في ميدان التحرير يمكنك أن تعثر على كل شيء إلا الثورة.. الثورة يمكنك أن تعثر عليها يومًا ما في دولاب ملابسك الداخلية.. أو في جيب حقيبتك السحري هكذا هي لا تخرج إلا من الأماكن غير المعتادة..
استغاث بي صديق لا أذكره بأن أحد البلطجية قد قتل ابنه أمام عينيه واقتحم بيته واستولى على غرفة نومه وملابسه وكتبه وبطاقته الشخصية وشهادة ميلاده وأنه يجلس معهم كل صباح على مائدة الإفطار.. يقبل يده ورأس زوجته ثم ينحني عليه طالبًا المصروف.. يخرج إلى الجامعة ويعود على مائدة الغداء ثم يدخل للنوم، يستيقظ على مائدة العشاء ثم يستأذنه بالنزول إلى المقهى ليجلس مع أصدقاء ابنه المغدور، يترحم عليه ويقرأ على روحه الفاتحة، ويقص عليهم بطولاته وصولاته وجولاته

للقضاء على الثوار الخونة الملاعين.. يرفض أن يكمل دور الشطرنج المعلق بينهم وبين صديقهم القديم، فالبلطجية لا يأكلون العسكر ولا يقتلون الوزراء ولا يسقطون الملوك.. ينهض غاضبًا من مكانه ويذبحهم جميعًا، ثم يعود إلى البيت مبتسمًا ليخلد إلى النوم.. لم أعبأ بالأمر كثيرًا.. أغلقت الهاتف في وجهه.. ومضيت في طريقي..

سمعت صوتا ينادي من بعيد ورأيت ضوءًا يلمع وينطفىء ورأسًا ترتفع ورأسًا تنخفض وأشياء أخرى تتناثر هنا وهناك.. ربما أحدهم قام بتغيير تسريحة شعره فراح يجرب رأسًا عثر عليها ملقاة على قارعة الطريق لتناسب تسريحته الجديدة – أقول ربما– لكني عندما اقتربت من نهاية الشارع لم أر أي شيء.. بدا الشارع خاليًا تمامًا إلا من بالوعة المجاري البارزة.. أخذت ألتفت يمينًا فيسارًا.. ولأعلى وأسفل.. وللأمام والخلف.. فرأيت شرطيًا يقف مذعورًا في الظلام.. أشعلت عود ثقاب ففر هاربًا.. سألته يومًا وهو يصوب بندقيته إلى قلبي من بعيد.. هل تعرفني؟ هل تعرف اسمي أو اسم أبي وأمي وإخوتي وزوجتي وابني وابنتي وحبيبتي وجميع أقاربي وجيراني؟ هل ستحمل جثتي وتسير في جنازتي وتعرف أين قبري؟ هل سبق وهتكت عرضك أو قتلت ابنك أو بصقت في وجهك.. أو سرقت حافظتك أو شاركتك لبس جواربك أو قمصانك، أو شربت فنجان شايك أو قهوتك أو حتى كوب ماء تركت نصفه على الطاولة فارغًا؟ لم يفهم كل تلك الأسئلة التافهة وأطلق الرصاصة.. غبي حقا الذي ظن أنه يمكن أن يختصر كل حياتي في مقدمة رصاصة ونسي أن ما تبقى من حياته سيقضيه مصلوبًا خلف بندقية.. لم يصب الهدف بعد..

مازلت حيًا أو ميتا لا يهم المهم أنني هنا أهتف في الشوارع والميادين وأصرخ في وجه زوجتي ومالك العمارة وأبحث عن نظارتي وثلاجتي وسيارتي وبرطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر منه بالطبع.

صرح أحد تجار البيض الكبار بأن البيضة الرئاسية ما هي إلا كرة (بينج بونج ضخمة) ولن يخرج منها أي رئيس حتى لو رقد عليها الشعب كله، لكن في برامج التوك شو كاد أن يخلع الخبير الأمني ملابسه كلها على الهواء وهو يقسم برأس أمه بأنها بيضة حقيقية وسيخرج منها رئيس عملاق سيحكم البلاد.. ورغم ذلك لم ينجح في إقناع السفاسطة والفلاسفة والمثقفين وهؤلاء الذين يتحدثون من أطراف أنوفهم كماكينة الخياطة.. احتدم الصراع ووقف أنصار البيضة يسدون المخارج والمداخل والشوارع والحارات والبيوت.. لا أحد يتحرك ولا أحد يصحو ولا أحد ينام.. الشعب لابد أن يعلم أن كسر البيض حرام.. أكل البيض حرام.. ظلم البيض حرام.. أن البيض حقيقة وليس خيالًا.. البيض حقيقة وليس خيالًا..

فقط أشياء تسقط من رؤوسنا وتسير على وسائدنا ليلًا أشياء لا تشبه أي شيء آخر على تلك الأرض لذلك لا أستطيع وصفها لأن كل ما يحويه نافوخي من صور وتراكيب وألوان وروائح وأصوات وكلمات لا يمكن أن يقف ليلتقط صورة واحدة لتلك الأشياء التي لا تشبه الأشياء التي نتشبه بها أو نشبه بها الآخرين فلا شبه بين هذا وذاك حتى أن الأشباه كلها قد ضيعناها بيننا.. فتلك الأشياء التي تسقط من رؤوسنا وتسير على وسائدنا ليلًا تنتشر بيننا ونراها كما يرى الرجل زوجته وحماته وأولاد خاله وخالاته وأولاد أعمامه وعماته لكنها إن خرجت إلى الشارع اختفت بين

السيارات والزحام والباعة الجائلين وعمال اليومية لكنك أبدًا لا تراها على وسائد من يقرأون الصحف اليومية وتاريخ الصلاحية أو حتى النشرات الداخلية لأدوية القلب والسكر والضغط..لا أتذكر إن كنت مريضًا بكل تلك الأشياء أم لا.. لكني قبل موتي كنت أتناول دواءً ما وبعض المراهم الموضعية في أماكن حساسة تتعلق بمرض جلدي وآلام الظهر والمفاصل والتهاب الأذن الوسطى ووو.. لا شيء الآن يؤلمني لأحتاج إلى دواء فعال، فالثورة لا تشفي المرضى ولا تحيي الموتى، ولا تستبدل العقاقير بإكسير الحياة.. فالموتى لا تعنيهم أسماء وتراكيب الأدوية الفاشلة طالما أنها لم تنقذهم من الموت ولا تعنيهم الثورة طالما أنها لا تريحهم من الألم، فهذا القرص المدبب الذي كانت زوجتي تصر أن أتناوله كل صباح ليجلب لنا الحظ ويبعد عنا الأرواح الشريرة لم ينفعني عندما سدد إلي مالك العمارة لكمات متتالية وعلقني كذبيحة الانتخابات أمام باب المصعد لمجرد أنني تأخرت عن سداد الإيجار لمدة عشر سنوات فقط كان لابد أن أقتله وأجرده من ملابسه وأركله بقدمي المفلطح وأسحله في الشارع كـ(محمد أبو سويلم) في فيلم الأرض.. لكن تلك الأشياء التي تتساقط من رؤوسنا وتسير على وسائدنا ليلًا كانت تأخذني معها بعيدًا.. بعيدًا جدًا وتنزع عني كل صلاحياتي الذكورية حتى ألقتني هناك على أطراف ميدان العباسية لأحظى بجرعة كبيرة من اللعاب المتناثر من أفواه الحمقى والمعتوهين.. في تلك اللحظة أيقنت أن الجو بارد.. بارد جدًا.. لم أعبأ بالأمر كثيرًا وجلست أتأمل تلك الصور الكاركاتورية لمرشحي الرئاسة وهؤلاء الذين يشبهون مؤخرات الإوز والماعز والسيد قشطة.

في طريق العودة إلى قبري وقفت ابنتي على رصيف بعيد تحمل في يدها حزمة من جرجير أو بصل أو شيء أخضر من هذا القبيل وبيدها الأخرى كانت تجر كلبها المدلل (توتي) أو (جون دارلينج) هكذا كنت ألقبه لأنه يشبه الجواسيس بلونه الأسود وأذنيه الطويلتين وعينيه الغائرتين.. أممممم! كم أكرهك أيها الكلب الجاسوس الحقير.. هو أيضًا يكرهني أعلم ذلك جيدًا رغم محاولات ابنتي المستميتة بأن تجعله يحبني في الأعياد الرسمية والإجازات كي يوافق على الخروج معنا للتنزه على كورنيش النيل وفي الحدائق العامة. إلا أنه كان يفضل دائمًا البقاء في المنزل يحرس الثلاجة من جارنا الفقير.. ليأكل هو كل شيء..

ذات يوم استيقظت صباحًا وحملته وهو نائم وألقيت به في الصحراء، ثم عدت لأجد الأخبار تملأ شارعنا والشوارع الجانبية والعمارة بأن حسين بائع البطاطا يقسم برأس أمه بأنه رأى الشرطة العسكرية تقبض على (جون دارلينج) في ميدان التحرير.. وأن هناك مفاوضات بين إسرائيل والمجلس العسكري باستبداله بألف أسير.. هنأني بواب العمارة وجاري الفقير وعسكري المرور الذي يقف عند الإشارة بعد سماعهم تلك الأخبار العظيمة.. فصعدت إلى شقتي فرحانا جدًا.. جدًا (قبضوا على جون دارلينج.. قبضوا على الجاسوس) عانقتني زوجتي وطارت ابنتي إلى أحضاني. أسرعت الخطى إلى غرفتي لأستبدل بملابسي بيجامتي الحرير وبورنسي النبيتي وطرطوري الأخضر استعدادًا للاحتفال.. فتفاجأت بـ(جون دارلينج) باسطًا ذراعيه على سريري.

عبرت ابنتي الشارع دون أن تراني.. لكن الكلب الأسود ظل يحملق في وجهي بغيظ.. فالجواسيس لا يلتفتون خلفهم وهم يقطعون الشوارع.. الجواسيس وحدهم من يعرفون ما تحويه ثلاجتي وما يدور برؤوس قائدي السيارات العابرة..

-4-

الجو بارد.. بارد جدًا.

ظهرت المذيعة وهي تعصر أنفها، وتلون شفتيها وتصفف شعرها المنكوش وترش البرفان هنا وهناك، نظرت للمشاهدين باشمئزاز ثم لعنت المصور والمخرج وفريق الإضاءة والإعداد.. وابتسمت.. أقصد اعتذرت أو عادت تلعنهم مرة أخرى ليس مهمًا أن أذكر التفاصيل الآن.. المهم أنها كانت تنقل أخبارًا عن البيضة الرئاسية العظيمة التي وضعتها جارتنا ذات صباح.. لم أفهم أي شيء من البيان الذي ألقته فوق رؤوسنا كدلو المياه الباردة، فرحت أسأل من كان يجلس عن يميني ويساري وخلفي وأمامي.. لم يفهموا أي شيء.. لم أعبأ بالأمر كثيرًا.. رأيت زوجتي تسير في الشارع لم أعبأ بالأمر كثيرًا مرة أخرى، لكني تذكرت أنني تزوجت تلك المرأة يومًا ما.. لم أعد أذكر أي شيء.. وهم أيضًا لا يذكرون أي شيء، كلنا لم نعد نذكر أي شيء.. لم نعد نفهم أي شيء.

فاصل ونواصل الجنون..

أنتظر إعلاني المفضل للملابس الداخلية.. الشعب كله يحتاج أن يبدل ملابسه الداخلية.. الشعب يحتاج أن يأكل ويشرب ويسكن وينام.. و..؟؟ الشعب لا يحتاج إلى ثورة.. الثورة ليست قطعة لحم.. الثورة ليست رغيف خبز.. الثورة ليست طبق فول.. الثورة ليست تفاحًا وبرتقالًا وجوافة، الثورة ليست كوب ماء.. الثورة ليست غرفة وصالة وحمامًا.. الثورة ليست جنيها واحدًا.

انتهى الإعلان.. اختفت الفتيات العاريات.. وظهر المذيع ابن المخرج الكبير يبتسم: الشرطة لم تقتل المتظاهرين.. الجيش لا يقتل أبدًا..

قال الرجل الأول: ربما انتحروا.

قال الرجل الثاني: ربما هم من وقفوا في وجه الرصاص.

قال المناضل الكبير: ليس مهمًا أن نعرف الأسباب الآن.

امتلأت الشاشة بوجه المذيع ابن المخرج الكبير وأخذ يثرثر ويثرثر ويثرثر.. ثم أخذ يبكي ويبكي دون أن تسقط من عينيه دمعة واحدة.. رحم الله الشهداء.. هكذا أنهى برنامجه الجبار..

صفقوا له بحرارة.. فقد كان سببًا في بكاء ستات البيوت، وبعض الرجال الشرفاء.. حتى أن بعضهم بات ليلته مهمومًا دون أن يؤدي واجباته الزوجية..

هبطت موسيقى التتر.. عادت الفتيات العاريات . الجو بارد.. بارد جدًا.

أما عن البيضة الرئاسية فقال رجل رفض أن يصرح باسمه إنها وُضعت لأب شركسي ولا يجوز لها الترشح لرئاسة البلاد هذا ما وجدوه منحوتا على جدران المقابر القديمة منذ سبعة آلاف عام بأنه لا يمكن أن يحكم البلاد إلا من كان مولودًا على شاطىء النيل لأم مصرية وأب مصري وداية مصرية ومرضعة مصرية.. ومربية مصرية.. ويشرب اللبن من ببرونة مصرية.. وجاموسة مصرية..

لقد أقسمت الملكة الفرعونية (تي) الزوجة العظمى المفضلة للملك أمنحوتب الثالث فرعون الأسرة الثامنة عشرة الشهير، ووالدة إخناتون وربما جدة توت عنخ آمون وخالة خوفو وخفرع ومنقرع ويقال بأنها المالكة الأصلية للأهرامات الثلاثة

قبل أن يجلس أمامها أبو الهول اللعين.. بأنها قد ولدت ابنها الأكبر لأب مصري وأم مصرية ومن ثم صار ملكًا يحكم ويتحكم.. يلهط ويشفط ويشخط، ويأمط ويمخط.. ووو.. لا شيء آخر يمكن أن يفعله هؤلاء..

لقد قرأت في شهادة ميلادي بأن أمي وضعتني على الخط الفاصل بين ليبيا ومصر وأن رأسي كانت قد سقطت في الأراضي الليبية وباقي جسدي في مصر.. لذلك استخرجوا لي شهاداتي ميلاد.. شهادة برأس ولدت في ليبيا، كتبها موظف زنجباري يعمل هناك، على ورق مستورد من إيطاليا، وشهادة أخرى لجسد ولد في مصر كتبها موظف مصري بمجمع التحرير على ورق محلي الصنع، لذلك يسمح لي أن أترشح لرئاسة البلاد في ليبيا وإيطاليا والزنجبار لكن لا يمكن أبدًا أن أترشح لرئاسة البلاد في مصر إلا إذا كنت حفيدًا للملكة الفرعونية (تي) الزوجة العظمى المفضلة للملك أمنحوتب الثالث فرعون الأسرة الثامنة عشرة الشهير، ووالدة أخناتون وربما جدة توت عنخ آمون وخالة خوفو وخفرع ومنقرع.

لقد كانت شائعة حقيرة.. حقيرة جدًا.. فالبيضة الشركسية لا يمكن أن تضيء في الظلام ولا يمكن أن تسير ليلًا في الشوارع تأكل من عربات الكبدة والحواوشي والمومبار تلك البيضة المختومة بختم النسر تضيء في كل مكان وزمان هذا ما سيرد في الصحف الصادرة صباح الغد.. لذلك قررت قراءة الصحف اليومية وألا أشرب الشاي والقهوة والنسكافية وألا أشاهد برنامج المذيع ابن المخرج الكبير ولا أفلام الخيال العلمي والكرتون.. فالشائعات تندس وسط تلك الأشياء التافهة وتتسلل إلى الجسد دون أن نشعر.. فنمرض ونشرب اللبن وننام مبكرًا ونموت.. قال حكيم من

الأزمان الغابرة: إذا أردت أن تطلق النكات فلا يجب أن تبتسم أبدًا كي تُضحك كل الناس، وإذا أردت أن تفوح من فمك شائعة عظيمة فيجب أن تبكي بصوت عال كي يصدقك الحمقى.. لم أعد أصدق حكماء الأزمان الغابرة وما زلت أشاهد المذيع ابن المخرج الكبير وهو يبكي بصوت عال وينهي برنامجه الجبار قائلًا:

إلى اللقاء مع شائعة جديدة..

-5-

قررت أن أستقل قطارًا من محطة مصر وأسافر إلى البرازيل أو النرويج أو حتى أسيوط فربما أجد هناك من يرشدني عن برطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر من كل هذا الهبل بالطبع.. فمذاق حب الكتان يجعلك تترك كل شيء للصدفة وتخرج قدميك من شباك غرفتك وتنام، لكن ما يحدث الآن لا يجعلك تأمن على خروج قدميك للشارع فربما يأتي عصفور مجهول ويفعلها بين أصابعك ويفر هاربًا.. فالعصافير لا يمتلكها أحد.. والبيض الرئاسي لا يمتلكه أحد.. وثوار التحرير لا يمتلكهم أحد.. إذن فلن تجد في تلك اللحظات من تشتكي إليه ليرد لك حقك المهدور.. فقط ستسحب قدميك بهدوء وتغلق الشباك وتغطي أصابعك وتنام..

سمعت أخبارًا تملأ العمارة أن جارتنا التي وضعت بيضة ضخمة جدًا داخلها رئيس.. تتمخض.. لكنها لن تلد فأرًا كما أشاعت بعض الصحف الأجنبية اللعينة، فرئيس مصر يمكن أن يولد أسدًا، أو نمرًا، أو تمساحًا لكنه لا يمكن أن يولد فأرًا أو أرنبًا وديعًا، لذلك جاءت النبوءة ببيضة ضخمة.. فالبيض الضخم لا يحوي داخله الكائنات الأليفة، جاءت أنباء عاجلة الآن بأن خبراء الأرصاد يتوقعون إعصارًا مدمرًا سيضرب البلاد غدًا أو بعد غد، أو السنة القادمة على الأرجح -لا تشغلني تلك النشرات الإخبارية المضحكة- فالبيضة الرئاسية قد يخرج منها ديناصور، أو أخطبوط، أو طائر رخ.. هذا ما تتوقعه الشيخة فهيمة قارئة الأبراج الشهيرة..

أخبرتني ابنتي بأنها ستذهب الليلة مع أصدقائها لتلوين البيضة الرئاسية، والتقاط بعض الصور التذكارية جوارها قبل أن يخرج منها هذا الكائن الغريب ويفسد كل الترتيبات التي أعدتها لاستقبال عيد الحب. لكن جارتنا الفقيرة قد لا توافق على تلوين البيضة أو التقاط الصور الرومانسية جوارها، لذلك توسلت إليّ أن أذهب معها لأقنعها بأن تسمح لها بمقابلة البيضة ولو لعدة دقائق لتظهر معها في الصورة التي ستحملها الجمعة القادمة بميدان التحرير.. لكن صراخًا كان يعلو بالخارج فالعسكر يحملون البيضة في صندوق شفاف كي يراها الشعب كله.. فليس معقولًا أن يولد الرئيس الجديد في عمارتنا وسط بائعي النداغة والعسلية وعلي لوز واللبان الدكر، فالمخلوق الرئاسي المنتظر لابد وأن يفتح عينيه في أحضان العسكر.. فالعسكر وحدهم من تأمنهم على زوجتك وأولادك وجواهرك.. ورئيسك الجديد.. لقد أفسدوا ترتيبات عيد الحب.. قالتها ابنتي آسفة وهي تبتسم لصاحبة البيضة الرئاسية الضخمة.

الجو بارد.. بارد جدًا..

البيضة الرئاسية أخرجت كتكوتا عاديًا جدًا، يسير على قدمين ويرفرف بجناحين، ويلتقط الحب بمنقاره ويصيح (صو.. صو.. صو.. ثورة) الكتكوت العادي جدًا لا يدخن السيجار، ولا يشرب الحشيش ولا يلعب الإسكواش ويكره الشيكولاتة، ويشرب اللبن والينسون وينام مبكرًا ويصحو مبكرًا.. الكتكوت العادي جدًا يتحدث في التلفاز ويخطب في الثوار بميدان التحرير، ويسير في الشارع بدون

حراسة.. الكتكوت يصلي ويصوم، ويحفظ القرآن.. الله أكبر.. الله أكبر.. الكتكوت يذهب لأداء العمرة.. الله أكبر الله أكبر.. الكتكوت يمسك بأستار الكعبة ويبكي في الحرم.. الله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد..

وقف أحد باعة البطيخ أمام القصر الرئاسي يبكي على حال حماره الذي ينام جوعانَ ويصحو جوعانَ ويحمله ويجر عربته و يدور في الشوارع جوعانَ..

وقف حمار بائع البطيخ أمام القصر الرئاسي يبكي على حال صاحبه الذي ينام جوعانَ ويصحو جوعانَ.. ويدور في الشوارع يبيع بطيخه جوعانَ.. فالحمير من حال أصحابها..

لكن الكتكوت العادي جدًا لا يعرف البطيخ ولا يعرف الحمير ولا أصحابها.. بل فقط يعرف الكتاكيت والدجاجة الكبيرة التي أرضعته حتى صار رئيسًا يحكم البلاد.. الكتكوت العادي جدًا لا يعرف جارتنا الفقيرة التي وضعت بيضة ضخمة.. ضخمة جدًا داخلها رئيس.. الكتكوت الرئيس لا يستطيع أن يعيد برطمان المربى الذي أعشقه.. أعشقه أكثر منه بالطبع..

سمعت رجلًا يقول بأن السيد الرئيس سيصافح الشعب فردًا.. فردًا ويطمئن على أحوال الرعية والناس النيام فردًا.. فردًا، وسيسير في الشوارع والأسواق، والحارات، والأزقة والقرى والنجوع وفي الصحراء سيسير بحثًا عن السباع الجائعة كي يطعمها لتشبع وتنام.. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد..

- السباع تشبع والشعب يموت جوعًا؟!.. هكذا تساءلت امرأة فقيرة تأكل من كسرة خبز جوار حائط كاد أن ينهار..

- الثورة التي تأتي بكتكوت رئيسًا ليست ثورة.. هكذا قال رجل يحمل تحت إبطه جريدة..

- الثورة تأتي برئيس يجلس في أطباق الفقراء.. هكذا قال كل الفقراء..

- تابعوا خطاب الرئيس.. ثم اخرجوا إلى الحدائق والمنتزهات. وحلاقين الصحة ثم عودوا إلى بيوتكم محملين بالهواء البارد.. هكذا نصحنا المثقف الكبير.

سمعت أخبارًا تملأ العمارة أن جارتنا الفقيرة وضعت بيضة ضخمة.. ضخمة جدًا داخلها رئيس جديد.. تأكدنا من ذلك بعد أن رأينا خاتم النسر المطبوع على جانبها الأيمن.

لم تعد هناك مقاعد خالية.. لم أعبأ بالأمر كثيرًا..

الجو بارد.. بارد جدًا.

الرئيس لا يأكلها تفاحًا

(١)

الجو بارد.. بارد جدًا.

تنزعج زوجتي من صوت السلام الوطني الذي يأتينا كل صباح من القصر الرئاسي المجاور، (هم جيران مزعجون، ومقرفون، وغوغائيون ونشم منهم روائح الأطعمة الطيبة التي تصيب ابنتي وكلبها بالاكتئاب)، لذلك أفكر أن أغادر شقتي التي تقع في الدور الثاني أو الثالث أو الحادي عشر في العمارة التي يجلس على بابها بواب أحمق يبيع الساقع والمياه المعدنية وكروت الشحن وأهاجر إلى بلاد بعيدة، لكن الموتى لا يأكلون ولا يشربون الساقع ولا يشترون كروت الشحن ولا يهاجرون إلى بلاد بعيدة.. الموتى لا يبرحون شقتهم التي تقع في الدور الرابع أو الخامس أو الحادي عشر في العمارة التي يجلس على بابها بواب يستعير سيارات السكان ليصنع منها سريرًا لزوجته وأولاده الخمسة.

الموتى لا ينزعجون من السلامات الوطنية، ولا من مثل تلك الأشياء الشكلية الزائدة عن الحاجة، لكنها زوجتي التي تنزعج من كل شيء فتحرمني من ساندويتشات المربى الصباحية لمجرد أنني أحدث ضجيجًا عندما ترتطم أسناني أثناء عملية القطع والقضم والمضغ والطحن والبلع والهضم والإخراج، لذلك وافقتها أن أذهب لزيارة جارنا الرئيس وأتودد إليه عله يستبدل مقطوعة رومانسية بسلامه الوطني المستفز، فتلك المعزوفات القديمة تجلب الفقر، والنحس وحوادث

القطارات، وانهيار العمارات، والتظاهرات، وهروب الحيوانات، والحرائق، والسيول، والزلازل والبراكين، والباعة الجائلين.

لم أمنح نفسي فرصة واحدة للتفكير في تلك الأوامر الصارمة التي تمليها عليّ زوجتي من حين لآخر، وأخذت أفكر في رئيس يحكم تلك البلاد يركب حمارًا، أو ميكروباصًا أو تكتوكًا ويحشر رأسه في عربات المترو، ويقف في طوابير الخبز والخضار، وأنابيب الغاز، والجمعية الاستهلاكية، ودورات المياه العمومية، وشباك تذاكر السينما، ويحمل تحت إبطه بطيخة وجريدة وحزمة جرجير، رئيس يشبهنا جميعًا، لكن لا يشبه زوجتي بأي حال من الأحوال.. ساعتها سأتنازل له عن دوري في طابور دورة المياه العمومية ليوم واحد فقط.. مممم؟؟ نعم. يوم واحد فقط، ولا تطمعوا في يوم آخر لتضفوا على سيادته المزيد من الراحة، فدورة المياه العمومية هي المكان الديمقراطي الوحيد الذي يمكن أن يزوره الرئيس يوميًا دون عزف لسلامات وطنية، أو أي شيء آخر من هذا القبيل.

اعتدت أن أسأل نفسي كل يوم ماذا لو أصبحت رئيسًا أو مديرًا كبيرًا أو حتى ملاحظًا لعمال النظافة في الحي؟..

فمن المؤكد أنني سأعيش في قصر كبير وأستقل سيارة سبعة أمتار -ولا أعلم لماذا سبعة أمتار بالذات وليست عشرة أمتار مثلا؟- وأذل خلق الله، وأنتقم من مالك العمارة والبواب وسائق التاكسي وزوجتي، وسأعيّن موظفًا أنيقًا يبحث لي عن برطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر منها بالطبع، وموظفًا للطوابير وموظفًا يصنع لي عشرات الساندويتشات، وموظفًا يثرثر مع زوجتي طول النهار.. وموظفًا

آخر سأعيّنه دون أن أسند إليه مهمة محددة ثم أقوم بفصله وأعيّن غيره.. ثم أفصله وأعيّن غيره وغيره وغيره وغيره تلك هي أقصى طموحاتي من المنصب الرئاسي المقدس ولا شيء أكثر من ذلك.. وسأترك الشعب يعيش.. يأكل ويشرب ويتكاثر وينام ويصحو ويمشي في الشارع وينظم رحلات إلى القمر إذا أراد، لكني لن أسمح له أبدًا أن يقترب من ميدان التحرير..

قال لي أبي ذات يوم أريدك أن تصبح رجلًا مهمًا جدًا، ترتدي بدلة وكرافتة وحذاءً لامعًا، ونظارة، وتظهر في التلفاز والصحف والمجلات وتشير إليك الناس في الشارع وتقول إنك ابن هذا الرجل العظيم، لذلك يجب أن تذاكر وتنجح وتتفوق وتخلو شهادتك الشهرية من الدوائر الحمراء، ومن يومها وحياتي كلها تحولت إلى دوائر حمراء، إحساس رائع أنك بعد أن تهيّيء حياتك كلها كي تصبح رئيسًا ثم تجد نفسك تسكن في شقة في عمارة في الدور الرابع أو الخامس أو الحادي عشر.. وتجلس أمام التلفاز لتتابع خطابات لرئيس لا يرى أبدًا تلك الدوائر حمراء..

تبدو كل الأشياء في بلدنا صغيرة جدًا إلا الرئيس هو وحده الضخم الوحيد، هو يظن ذلك.. ونحن أيضًا نظن ذلك.. حتى زوجتي النحيفة تظن أنها أضخم مني، وتصر أن ترتدي بورنسي وطرطوري وأحذيتي لتعيش كما تريد ضخمة دائمًا.. لكن ملك مصر العظيم خوفو قد فطن الخدعة وبنى لنفسه هرمًا ضخمًا ليحوي جسده الضئيل. فالرئيس الضخم دائمًا ما يخرج علينا بأشياء ضخمة.. قرارات ضخمة، قوانين ضخمة، أحلام ضخمة، مشاريع ضخمة.. فاكهة ضخمة، ورأس ضخم..

وأشياء أخرى ضخمة جدًا.. جدًا.. جدًا، كأنف سائق التاكسي، وأقدام زوجتي..
وأشياء أخرى ضخمة لا أستطيع حصرها الآن.

(2)

الجو بارد أو ليس باردًا لا يهم..

فكل الأجواء حولنا أصبحت أجواء فانتازية مضحكة.. والتفكير في تلك الأجواء يخرج بأفعال هزلية مجنونة.. فكيف لميت أن يتكلم ويمشي بين الناس، ويسير في الأسواق ويأكل المربى التي يعشقها.. يعشقها أكثر من زوجته بالطبع؟..

لم يكن هذا ما يؤرقني أبدًا.. فحياتي الأصلية أتفه من كل تلك الأحداث الخزعبلية الشعواء، المليئة بقنابل الغاز والخرطوش والرصاص والدماء وفقأ الأعين والسحل والنحل، الأسياخ المحمية.. أو حتى التحرش بالنساء في ميدان التحرير، وتجريدهن من ملابسهن الأنيقة المتمردة.. أخذت أفكر بهذا المنطق للحظات ثم سألت نفسي.. نفسي التي تحدثني دائمًا بما يليق بهذا الهرج والمرج.. فالمنطق لا مكان له الآن، ولو عاش بيننا أرسطو المسكين، فلن يجد ما يسد جوعه وسيذهب ليبيع الترمس في ميدان التحرير وربما يموت على يد بلطجي عظيم يروج له التاريخ ويصبح شخصية تدرج في المقررات المدرسية وتصبح محورًا مهمًا في الأسئلة الإجبارية في امتحانات آخر العام..

آه! لقد شغلني البلطجي الأحمق عن سؤال نفسي التي دائمًا ما تلهمني بأفعال خارقة لا تحتاج إلى مستشارين أغبياء كهؤلاء الذين يحتفظ بهم الرئيس ويمنحهم آلاف الجنيهات لمجرد ابتذالهم المعهود لأخطائه التافهة وفي النهاية لا شيء.. فالرئيس هو الرئيس.. لا يفكر أبدًا إلا في أشياء مهملة لا يتمناها الشعب المسكين الذي يظن أن

البركة ستحل عليه من ميدان التحرير.. أريد أن أضحك.. (هأ هأ هأ) لم تكن تلك ضحكتي المعتادة من قبل، فلا قيمة للضحك على المسارح التراجيدية التي لا تحتمل إلا البكاء.. إذن فسأبكي (إهىء..إهىء..إهىء) لم يكن هذا بكائي المعهود من قبل، فلا قيمة للبكاء في جنائز البهلوانات التي تموت من الضحك.

فبدلة الرئيس المهلهلة أصبحت تحوي الكثير من الأرانب البرية والفئران البيضاء، والأشرطة القماشية الملونة وبعض الألعاب التي لا تجلب البهجة، أو التصفيق إلا في لحظة واحدة.. عندما يفتح فمه عن آخره ويضرب الطاولة بيده ويخرج من جيبه قرارًا أفعوانيًا طويلًا.. ثم يعيده مرة أخرى كما كان، وكأن شيئًا لم يكن.. ما أجمله من رئيس!.. سيكون أكثر فائدة في حفلات أعياد الميلاد والموالد، وحفلات الزفاف الشعبية..

آه! لقد شغلتني بدلة الرئيس المهلهلة عن سؤال نفسي.. مممم؟ لقد نسيت السؤال.. السؤال؟ السؤال؟ السؤال؟ آه! لقد تذكرت الآن..

فالرئيس دائمًا ما يتذكر أثناء خطاباته أشياء لا يتوقعها الشعب، لكنه دائمًا ما ينسى ذكر بعض الأشياء التي ينتظرها الشعب.. ربما في خطاب آخر يتذكر.. أو ربما ينشر اعتذاره في الجريدة الرسمية في اليوم التالي، لكن الرؤساء لا يعتذرون أبدًا ومن يعتذر منهم يمُت.. بل يكتفون فقط بارتداء كرافتة سوداء للتعبير عن أخطائهم التي اقترفوها في حقنا.

أخبرتني زوجتي بلهجة تحذيرية صارمة بأنني يجب أن أكون أكثر حزمًا مع هؤلاء الجيران الفوضويين، الذين يزعجونها بعزف السلام الوطني بين الحين والآخر، فهي

تريد أن تنام وترتاح لفترات طوال كي تستطيع أن تمارس واجباتها الزوجية مع زوجها الجديد دون أن تفكر في أشياء أخرى تتعلق بالوطن الكبير الضخم العملاق، أو حتى تستعيد ذكرياتها مع طابور المدرسة الغبي، فدائمًا ما تترك داخلنا الطوابير المدرسية ذكريات مؤلمة نشعر بها كلما سمعنا السلامات الوطنية، ربما الأغاني الشعبية تخفف من وطأة تلك الذكريات في لحظات تجلي معينة.

لكن زوجتي لا تحتاج إلى لحظات كهذي أبدًا فهي إنسانة دقيقة، وجادة ، ووقورة، ومحافظة ولا تستمع إلا لنفسها فقط، وخطابات الرئيس التي تنتقدها بصورة حيادية معقولة، عندما تعلق على عدم ملائمة الخلفيات مع الأحداث، وديكورات القصر المبالغ فيها، ولون السجاد والحوائط والستائر، والميكرفون، والنسر الضخم الموضوع بشكل عشوائي، والرئيس نفسه الذي لا يقف في منتصف الشاشة.

إذن فيجب أن أتصرف وأمنحها ما تريده من الهدوء والسكينة، وسط كل تلك المنغصات التي تهدد حياتي معها، وتمنح زوجها الجديد مساحات أكثر من الراحة دون أن تستحضرني في ذاكرتها وتقرأ على روحي الفاتحة، وتجعل ابنتي تنساني، وتزيل صورتي من على حائط غرفة الصالون وتساوم عليها لتضعها على لوحة ضوئية كبيرة في ميادين وسط البلد فتتهافت عليها شركات الإعلانات لتعرض بضائعها الشهيرة. لذلك لزم عليّ أن أفكر في الخلاص من تلك الورطة التي هبطت عليّ من السماء، فالرئيس السابق كان يعزف السلام الوطني كل يوم ورغم ذلك لم تشكُ زوجتي في حياتي أو تمتعض، أو حتى تتململ، أو تبتئس، ولم يسترع انتباهها للحظة واحدة أن هناك قصرًا رئاسيًا جوار عمارتنا التي يجلس على بابها بواب يبيع الساقع

والسجائر وكروت الشحن، فالرئيس السابق كالزوج السابق لا يعلم عن الدنيا أي شيء، لكن زوجها الجديد، وضع يدها على أشياء لم أفكر أن أقترب منها أبدًا يومًا ما.. ومن يخف.. يمت وأنا مت بالفعل.. والموتى لا يمتلكون شيئًا يخافون عليه، لأنهم ماتوا بالفعل، لكن الرؤساء يخشون كل شيء، وعلى كل شيء ومن كل شيء.. إلا الموتى.

(3)

الجو بارد أو ليس باردًا لا يهم..

فكل الأجواء حولنا أصبحت أجواء فانتازية مضحكة.. والتفكير في تلك الأجواء يخرج بأفعال هزلية مجنونة.. فكيف لميت أن يتكلم ويمشي بين الناس، ويسير في الأسواق ويأكل المربى التي يعشقها.. يعشقها أكثر من زوجته بالطبع؟..

سألتني ابنتي عن سر موتي رغم أن سقوطي من على الحبل واصطدامي بالأرض لم يكن سببًا يستدعي الموت، شردت قليلًا ثم نسيت الإجابة.. لكن رغبتي في الرحيل عن تلك الحياة هي التي دفعتني بأن تقام لي جنازة عسكرية، لأصبح بطلًا في نظر الشعب.. وفي نظرها.. وفي نظر جارنا الفقير والبواب، وعسكري المرور، وسائق التاكسي.. رغم أنني لم أقف في ميدان التحرير ولو لمرة واحدة.. ولم أهتف بسقوط الرئيس ولو مرة واحدة، ولم يزج بي في المعتقلات ولو مرة واحدة، ولم أصب برصاص الشرطة ولو مرة واحدة.. لم تسترسل ابنتي في سؤالي وعادت لتطعم كلبها الجاسوس الكبير..

انتهت القصة عند هذا الحد دون أن نصل إلى حل مع هذا الرئيس الذي يتمادى كل يوم في عزف السلام الوطني بصورة مستفزة تتحدى داخلنا المناطق الحساسة التي يمكن بها أن نشعر بحبنا العميق لهذا الوطن.. لقد كرهنا الوطن.. لقد سئمنا الوطن.. لقد نسينا أننا نعيش في وطن.. ونبحث الآن عن أوطان أخرى لا يعزف فيها الرؤساء السلامات الوطنية.

لم تعد عندي اختيارات أخرى أو مبررات مدهشة أستطيع بها أن أنفذ من كل الطرق التي تؤدي إلى روما.. أقصد لا تؤدي إلى أي شيء، لكني ما زلت أفكر في رئيس يحكمنا لا شرقيًا ولا غربيًا، ولا شماليًا ولا جنوبيًا ولا ينتمي إلى أي اتجاه من الاتجاهات الأربعة، رئيس يزحف وينتشر ويتوغل ويتسرب في كل مكان، لكنه لا يقتل شعبه أبدًا، بل يشرب معه شايًا بالنعاع ويدعوه لسيجارة و يدفع له الأجرة بعد إلحاح في المواصلات العامة..

بات الموقف متأزمًا جدًا، ولم أعد أجد مخرجًا واحدًا يمكن أن أصل به إلى حل لتلك المشكلة الكبيرة التي باتت تؤرقني وتفسد عليّ لحظاتي الماجنة عندما أقرر أن أعود إلى البيت، الذي لم يعد لي فيه مكان، فحياتي تحولت إلى جحيم وضاقت عليّ الأفق واستحكمت حلقاتها، وذهبت كل سنين العمر هباء مع زوجة لم تستطع أن تحافظ على حياتي وتركتني أذهب مع الريح..

أضغط ريموت التلفاز.. أعيد ضغط ريموت التلفاز.. أقلب القنوات.. القناة تلو القناة.. والإعلان هو الإعلان الذي يتكرر كل يوم بدلًا من نشرات الأخبار، وداعًا للاعتصامات والإضرابات وميدان التحرير، حطم مفهومك الشعبي القديم فالآن أصبح هناك رئيس لكل مواطن.. رئيس آلي يكنس ويطبخ ويغسل، ويعجن ويخبز، ويستقبل الضيوف ويربي الأطفال ويشتري الخضار، ويملأ سيارتك بالبنزين والسولار، ولا ينام ليلًا ولا نهار.. أبشر فقد أصبح لكل مواطن رئيس..لا يزعجك بعزف السلامات الوطنية، ولا بالزيارات الرسمية، ولا بالمؤتمرات، والخطابات ولا بقرارات مائلة للاحمرار، والمفاجأة الكبرى إذا اشتريت رئيسًا تحصل على الثالث

هدية.. سارع بالحجز، فالكمية محدودة، سعر الدفع ثابت.. سعر الشحن ثابت أينما كنت.. أغلقت التلفاز.. وتذكرت برطمان المربى التي أعشقها.. أعشقها أكثر من الرئيس بالطبع.

أفرغت ابنتي خزانتي من ملابسي التي كنت أرتديها في حياتي وتبرعت بها لإحدى الجمعيات الخيرية، وأبقت على بدلتي الوحيدة السوداء ليرتديها زوج أمها الجديد، لم تكن البدلة السوداء هي ما تشغل بالي أبدًا في تلك اللحظات التي كنت أستعد فيها لمواجهة زوجتي وأقف أمامها للمرة الأولى وأقول "لا"، لكن الخطابات التي كانت تصلني من مواطنين مجهولين يحكون لي فيها عن حياتهم البائسة والتي كنت أحتفظ بها في جيب البدلة الداخلي هو ما يشغل بالي الآن، فتلك الرسائل السرية كانت ستكشف عن حقيقتي التي كنت أخفيها كل تلك السنين الماضية، لكن بماذا تفيد الحقائق الآن بعدما فقدنا سطوة الانبهار، فكل شيء أضحى عاديًا جدًا، لذلك تمنيت أن يعثر عليها كي يقرأ بعينيه رسالة حب قديمة كانت قد أرسلتها إليّ زوجتي قبل أن يجلس على باب عمارتنا بواب يبيع الساقع والمياه المعدنية وكروت الشحن، وقبل أن يجاورنا رجل فقير لا يمتلك في منزله ثلاجة، ورجل آخر يدعي أنه الرئيس ويسكن قصرًا يحتوي على آلاف ثلاجات التبريد وأطنان من اللحم والعسل واللبن والشعير والفول والياقوت والمرجان والذهب والفضة، ستنغص عليه تلك الرسائل حياته، وربما يفكر في الانتحار إذا تسللت يده إلى جيب بدلتي الداخلي وحاول فتحها، فليست كل الرسائل المغلقة تجلب لنا الخير، وليست كل الرسائل المفتوحة تجلب لنا الثروة، لم أعبأ بالأمر كثيرًا ومضيت في طريقي باحثًا عن كلمات جديدة

أكمل بها قصتي، لكن قصص العظماء دائمًا ما تنتهي نهايات مأسوية، وبما أنني صعلوك مات موتة تافهة جدًا فحتمًا قصتي ستنتهي نهاية تافهة جدًا، كنهاية رئيس أعطى لشعبه كل شيء وسكن قصرًا ونسي أن يدون اسمه على واجهة محل يبيع الكشري في وسط البلد، ثم مات وانتهى.

(4)

الجو بارد..بارد جدًا.

جمع الرئيس أولاده الخمسة، ثم أمر حارسه الشخصي بأن يحضر له عصاه الخشبية التي يهش بها على الشعب، ثم وضعها بين ذراعيه وأوعز إلى أصغرهم أن يكسر العصا بيديه، فاندهش الولد وأخبره بأنه يعلم تلك القصة جيدًا، وأنها قصة قديمة ومحروقة، ويعرفها القاصي والداني ولا داعي لمضيعة الوقت في مثل تلك الأشياء التي (لا تودي ولا تجيب)، فالأبناء سيحطمون حزمة الحطب وفي النهاية سيموت أبوهم الذي كان يرقد مريضًا على فراشه.. تلك كانت النهاية التي يذكرها جيدًا..

فكبّر الحرس جميعهم وخروا ساجدين..

انتشرت حكاية ابن الرئيس في كل مكان، وتهافت الوزراء والمستشارون والنواب ومديرو العموم وكتاب الدواوين على القصر ليقدموا التهاني والتبريكات.. لكن ابن الرئيس كان مشغولًا في أمور أخرى تتعلق بمستقبله الكبير، لذلك رفض استقبالهم وأرسل إليهم مندوبًا يقدم لهم الشاي، والقهوة، والعصائر، والساندويتشات ويجمع منهم الهدايا ويرحلون، في ذات الوقت الذي اتصل فيه عامل المزلقان الأول على عامل المزلقان الثاني ليسأله عن قدوم القطار، فأخبره بأنه كان نائمًا ولا يعلم هل مر القطار أم لا؟ لكنه أشار عليه بعد تململ بأن يضع أذنيه على القضبان وسيعلم إن كان القطار قادمًا أم لا، فهي حيلة قديمة كان يفعلها عمال المزلقانات الذين رحلوا من هنا إلى مصير مجهول، لكن الوزراء في القصر أصروا ألا يرحلوا قبل أن يقدموا

التهاني بأنفسهم لابن الرئيس الذي آتاه الله الحكمة من حيث لا يدري، وسط غضب زوجتي التي تشتكي من تلك الجلبة التي تملأ عليها غرفتها المطلة على القصر الرئاسي اللعين، ورغم نصيحتي لها مرارًا و تكرارًا بأن تخلد إلى النوم في سيارتي بدلًا من أبناء البواب الذي وضع يده عليها دون رادع، لكني هرعت إثر صراخها عندما استيقظت مفزوعة من غفوة خفيفة على رؤوس تتطاير تحت عجلات قطار، رحل الوزراء بعدما شربوا العصائر والشاي والقهوة والساندويتشات وعاد الهدوء إلى المكان إلا من بعض كلمات تتناثر هنا وهناك..

الجو بارد.. بارد جدًا.

أسير في الشارع وحدي، أسير بلا هدف، فشقتي لم يعد لي فيها مكان، إلا مقعدًا واحدًا مكسورًا ملقى في زاوية الصالة، حتى ثلاجتي التي كنت أفتخر بها بين زملائي أصبحت توضع فيها قوالب شيكولاتة وشرائح كافيار ومحار وزجاجات كولا ونبيذ وشعير وأقراص وكبسولات ومراهم ودهانات وأشياء أخرى كثيرة لم أرها من قبل.. فمن المؤكد أن تلك الأشياء الكثيرة التي لم أرها من قبل لها فوائد عظيمة تصلح أثناء الثورات العظيمة..

كنت أفكر في كل شيء تركته خلفي زوجتي وابنتي وطرطوري الأخضر، وبرونسي، وبيجامتي الحرير، وبرطمان المربى، والكلب الجاسوس الكبير.. توقفت عن التفكير، فلا شيء يستحق عناء التفكير الآن.. فالجو بارد بارد جدًا، وملابس الموتى لا تصلح لمثل تلك الأجواء الشتوية القارسة، فلا مكان في هذا البلد يقينا من البرد بعد أن

تكدس الجليد في شوارعها وفوق منازلها وفي أفواه أهلها، فأصبحت كل المعالم باردة بيضاء.

توقفت أمامي سيارة قفزت فجأة من الظلام، خرج منها ثلاثة أو أربعة أو خمسة ملثمين.. لا أذكر، لكني لا أرى أن هناك داعيًا لكل هذا العدد الذي لا أذكره، فواحد فقط يكفي للانقضاض على إنسان ضائع ومحطم مثلي، ألقاني أحدهم بقوة على كرسيها الخلفي، ثم قيّد يدي وعصب عيني بعصابة سوداء، ووضع شريطًا لاصقًا على فمي، في الوقت الذي كنت أهمّ فيه بالانفجار في الضحك.. فهؤلاء الحمقى يخطفون إنسانًا ميتًا، والموتى لا فدية لهم.

ألقوني في مكان مهجور ثلاثة أيام لم أسمع فيهم صوتًا واحدًا إلا صوت شخير متقطع يأتيني من حين لآخر، دخل أحدهم في اليوم الرابع بخطًى ثقيلة تهتز لها الأرض، جلس أمامي للحظات ونفخ دخان سيجارته في وجهي ورحل، مرت ثلاثة أيام أخرى، وعاد الرجل نفسه في اليوم الرابع لينفخ دخان سيجارته في وجهي ويرحل، ومرت ثلاثة أيام أخرى وعاد نفس الرجل في اليوم الرابع ونفخ دخان سيجارته في وجهي ورحل، مرت ثلاثة أيام أخرى وعاد رجل آخر في اليوم الرابع سحبني إلى السيارة وحررني من قيودي ثم ألقاني عاريًا على قارعة الطريق.

(5)

الجو بارد.. بارد جدًا.

خرج الرئيس من قصره ليأكل كل شيء.. الرئيس يأكل كل شيء..

احذروا الرئيس يأكل كل شيء..

عليكم بالخل والبصل.. الخل هو الحل.. إنها حيلتنا القديمة في مواجهة المصائب..

اهربوا إنه قادم لا محالة.. الحيل القديمة لم تعد تجدي.

الأنباء تنتشر بأنه التهم مترو الأنفاق بقضمة واحدة، وابتلع الأهرامات الثلاثة، وماء النيل، وقناة السويس، والقلعة، وبرج القاهرة، وحديقة الحيوان، ومحطة مصر، وماسبيرو، وميدان التحرير، الخسائر تزداد ومعدة الرئيس تنتفخ، وكرشه يتهدل.. الرئيس يتضخم.. الرئيس يتحول إلى عملاق كبير.. يأكل كل شيء.

صاح رجل حكيم في الناس بأن يضعوا فوق رؤوسهم تفاحًا، فالرؤساء لا يأكلون التفاح..

ألقوا التفاح في الشوارع، والميادين، وأسفل السيارات، ازرعوا التفاح في كل مكان.. التفاح هو الحل.. أحيطوا به منازلكم وعلقوه في رقاب الصغار وأوقدوا حوله الشموع، وانثروا الملح على نوافذكم وصلوا من أجل الوطن الذي يلتهمه الرئيس، دون رحمة.

كنت أسير في اتجاه عمارتي في تلك اللحظات التي تنتشر فيها أكمنة الشرطة بحثًا عن التفاح، باعتباره فاكهة خطيرة ومخالفة للقانون، وحيازتها أو تناولها أو زراعتها، أو

استيرادها قد يستوجب حكمًا بالإعدام شنقًا حتى الموت، حاولت أن أبتعد عن الضابط الذي كان يحملق في وجهي من بعيد، ثم عاد يتطلع في ساعته، لكن شيئًا ما جعلني أقترب منه لأخبره بأن الرئيس خرج من قصره ليأكل كل شيء وعليه أن يرحل الآن أو يضع فوق رأسه تفاحة تحميه من تلك اللعنة التي أصابت البلاد، لكنه رحل بسرعة قبل أن أصل إليه.

التفاح.. وما أدراك ما التفاح!.

هكذا بدأ الرئيس خطابه إلى المزارعين والفلاحين..

زراعة التفاح حرام شرعًا..

هكذا أنهى الرئيس خطابه إلى المزارعين والفلاحين.

لكن أشجار التفاح كانت تنتشر في كل مكان، في الحدائق، والحقول وحول الترع والمصارف وعلى الجسور، وأطراف الطرق، وعلى الأسطح والبلكونات.

التفاح هو من أخرج آدم من الجنة فاجتنبوه..

هكذا كان يشيع خطباء المساجد بين المصلين.

جمع الرئيس أولاده الخمسة وأمرهم أن يساعدوه في أكل كل شيء، فرفضوا جميعهم لأنهم مشغولون بأكل أشياء أخرى، إلا ابنه الصغير هو وحده من وافق أباه لأنه لا يجد شيئًا يأكله، لكن زوجة الرئيس كان لها رأي آخر لم يعرفه العامة ولم تطلع عليه الصحف والفضائيات، لم أعبأ بالأمر كثيرًا ومضيت في طريقي.

دخلت العمارة فلم أجد البواب ولا زوجته ولا أولاده الخمسة ولا سيارتي، صعدت إلى شقتي في الدور الرابع أو الخامس أو الحادي عشر فلم أجد زوجتي ولا زوجها

الجديد ولا ابنتي ولا كلبها الجاسوس الكبير ولا ثلاجتي ولا كرسيي المكسور، ولا جاري الفقير الذي استعار الثلاجة من أجل كيلو اللحم الذي اشتراه بعد عناء، فعدت إلى الشارع فوجدته خاليًا، لقد التهم الرئيس وابنه الصغير كل شيء.

لم تعد عندي مبررات للهروب، فلقد أكل الرئيس زوجتي التي كانت تنغص عليّ حياتي، ولم أعد أهتم بأمر الصخب الرئاسي أو السلامات الوطنية التي تأتينا من القصر المجاور، فقد تخلصت من هذا العالم كله بالفعل، وأصبحت أعيش فيه وحيدًا كيفما أشاء، في شقة خالية تمامًا، وعمارة خالية تمامًا، وشوارع خالية تمامًا، إلا من مواكب الوزراء، ونواب القرى والمراكز والنجوع الخالية، وسيارات الشرطة التي تتجول هنا وهناك، دون صدامات، أو إطلاق رصاص أو قنابل أو خرطوش، وأناس آخرون ينتشرون في كل مكان يلقون باقات الزهور على أرواح الناس التي كانت هنا وهم يرتلون تعاويذ الموت، الآن فقط أستطيع أن أدون كل شيء في هذا الكتاب، وأنا على يقين تام من أن هذا البلد لا يحتاج إلى رئيس يحكمه، بل يحتاج إلى شعب جديد يحكمه رئيس جديد.

ششش.. لا تسمع نفسًا.. ششش..لا تتكلم لغة.. لا تلمح حتى قطة عابرة..

ششششششش.. تمت العملية بنجاح.

الجو بارد.. بارد جدًا.

عن الكاتب

محمد سامي البوهي: روائي وصحفي مصري من مواليد عام 1977 .

blkbohi@hotmail.com

صدر له :

1- لوزات الجليد (مركز الحضارة العربية 2006)

2- رائحة الخشب (مؤسسة شمس 2008)

3- أوطان بلون الفراولة (العين 2009)

4- بلوتوث (اكتب 2010)

5- سكترما (اكتب 2011)

6- الثورة 2552 (اكتب 2012)